أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة يونس

إعداد

د/ عبد الكريم عثمان علي

أستاذ مشارك –الجامعة القاسمية–الإمارات العربية المتحدة

من ١٧٣ إلى ٢٣٠

The Effect Of The Question In Achieving The Purposes Of Surat Yunus

Dr-Abdelkarim Osman Ali
Associate Professor- Alqasimia University- UAE

أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة يونس

عبد الكريم عثمان علي
قسم التفسير ،كلية القرآن الكريم ،الجامعة القاسمية،الإمارات العربية المتحدة
البريد الالكتروني:aaliosman@alqasimia.ac.ae

مستخلص:
سورة يونس من السور المكية وتظهر فيها سمات القرآن المكي بوضوح، وهي سورة ذات مقاصد خاصة تتعلق بقضايا العقيدة، فمن مقاصدها تثبيت التوحيد، وبيان حقية القرآن الكريم، وصدق نبوة محمد ﷺ، وإثبات اليوم الآخر وبيان حقيقته، وسميت بهذا الاسم لورود قصة قوم يونس فيها، والعبرة الواضحة من قصتهم أن الله نجاهم من العذاب بعدما أوشك أن يقع بهم بسبب إيمانهم بالله، وكذلك يونس عليه السلام نجاه الله نجاة تجلت فيها عناية الله، فالارتباط واضح بين اسمها وما ورد فيها.

وقد اتبعت السورة أساليب بلاغية عديدة لتثبيت هذه المقاصد، والبلاغة بفروعها الثلاثة من الأمور المهمة في فهم القرآن وتفسيره، وأكثرها أهمية علم المعاني الذي هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمتدبر في السورة يلاحظ ورود أساليب المعاني فيها بكثافة، مصورة حال المشركين مع رسول الله ﷺ ومع دعوته، ومن أميز وأقوى فروع علم المعاني التي وردت في السورة أسلوب الاستفهام، وهو من الأساليب الإنشائية ذات الدلالات المتنوعة التي تختلف باختلاف السياق والمقام، وقد ورد هذا الأسلوب في هذه السورة المباركة في خمس وعشرين آية، بدلالات متنوعة، فقد ورد بمعنى الإنكار والإقرار والتوبيخ والتعجيب وغيرها من المعاني، ومما يجدر ذكره أن المفسرين في بعض المواضع تفاوتت كلمتهم في دلالة الاستفهام، وما ذلك إلا لدقة وروده في هذه السورة، وقد تبين من الدراسة أن كل أساليب الاستفهام التي وردت في السورة تصب في تثبيت مقاصدها.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ سورة ؛ يونس ؛ الاستفهام ؛ مقاصد .

The Effect Of The Question In Achieving The Purposes Of Surat Yunus

Abdelkarim Osman Ali
Department Of Interpretation, College Of The Holy Quran- Alqasimia University- UAE
Email:aabidkreem@yahoo.com-

Abstract:

Surah Yunus is one of the Meccan surahs that deals with issues of faith. It is a surah with special purposes related to issues of faith. Among its purposes is to establish monotheism, explain the truth of the Holy Qur'an, the truth of the prophecy of Muhammad, may God bless him and grant him peace, and prove the Last Day and explain its reality. It was given this name due to the story of the people of Yunus. In it, the clear lesson of their story is that God saved them from torment after it was about to befall them because of their faith in God. Likewise, Yunus, peace be upon him, was saved by God in a way that demonstrated God's care for him. The connection is clear between its name and what was mentioned in it.

The Surah has used many rhetorical methods to confirm these purposes, and rhetoric with its three branches is one of the important matters in understanding and interpreting the Qur'an, the most important of which is the science of meanings, which is the matching of words to the requirements of the situation, and the methods of meanings are mentioned in the Surah in abundance, depicting the condition of the polytheists with the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and with his call. One of the most distinguished and powerful branches of the science of meanings mentioned in the surah is the interrogative style. It is one of the constructional methods with diverse connotations that differ depending on the context and position. This method was mentioned in approximately thirty of this blessed Surah with various connotations. It was mentioned in the sense of denial, acknowledgment, rebuke, astonishment, and other meanings. It is worth mentioning that the commentators in some places varied in their meaning. Interrogative questions, and this is only due to the accuracy of its occurrence in this surah. It has been shown from the study that all the interrogative methods mentioned in the surah serve to confirm its objectives.

Keywords: The Qur'an; Surah; Yunus ; Interrogative Questions ; Objectives.

مقدمة

القرآن الكريم كتاب الله الخالد، ورسالة الله للعالمين، أنزله الله عربيا غير ذي عوج، وسماه أحسن الحديث، ومن مظاهر حسنه جمال أسلوبه وعظمة مضمونه، فالقرآن معجز بهما؛ ولكن الإعجاز في بلاغته أظهر، والتحدي به أبين، فهو يحمل خصائص الكلام العربي مع تميزه عليه، ودراسة البلاغة مهمة في الوصول إلى أسرار الكتاب ودقيق معانيه، ولذلك اهتم العلماء بالدرس البلاغي خدمة للقرآن الكريم وبيانا لإعجازه، وانتقلت الدراسات البلاغية إلى جوهر العملية التفسيرية فصارت جزءا أصيلا من عملية التفسير، وتنوعت كتابات الباحثين في تناول الموضوعات التي تخدم هذا الجانب، ويأتي هذا البحث متناولاً واحدا من أكثر الأساليب البلاغية ورودا في القرآن الكريم؛ ذلكم هو أسلوب الاستفهام، ويحاول البحث الربط بين هذا الأسلوب وبين مقاصد سورة يونس، لذلك عنونا له ب (أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة يونس).

أهداف الموضوع:

يهدف البحث لبيان حقيقة أسلوب الاستفهام وكيف أسهم هذا الأسلوب في تحقيق مقاصد سورة يونس.

إشكالية البحث:

تظهر إشكالية البحث في تحليل أسلوب الاستفهام الوارد في السورة ومن ربطه بمقاصد السورة.

تساؤلات البحث:

ما هو أسلوب الاستفهام؟ وما هي دلالاته؟ وكم مرة ورد في سورة يونس، وما علاقة الاستفهام في سورة يونس بمقاصدها؟

الدراسات السابقة:

١- أسلوب الالتفات في القرآن الكرمي وأثره في إقناع المتلقي – سورة يونس أنموذجا–عبد الباقي مهناوي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطية، الجزائر، المجلد ١٦، العدد ٣، بتاريخ: ١٠/ ٦/ ٢٠١٧م، وهو في موضوع الالتفات في سورة يونس.

٢- (لا) وأنواعها في سورة يونس – دراسة تحليلية نحوية–، قدمت لاستيفاء بعض الشروط المطلوبة للحصول على درجة سرجانا التربية بقسم تدريس اللغة العربية في كلية التربية وشؤون التدريس بجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية مكاسر. وليس فيها تعرض للاستفهام ولا للمقاصد.

٣- من التماسك النصي في سورة يونس، حسين راضي العايدي، مجلة جامعة الأزهر –غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠١٣م المجلد ١٥، العدد ٢. وهي دراسة بعيدة عن موضوعنا.

٤- الأساليب البلاغية في سورة يونس، الدكتورة نجمة بانو، مجلة رفوف، جامعة الكلية الحكومية للنساء، باكستان، المجلد الثامن، العدد الأول، ٢٠٢٠م. وتناولت فيه الباحثة نماذج من علم البيان في سورة يونس.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة:

تناولت فيها أهمية الموضوع وأهدافه ومشكلته وتساؤلاته ومنهجه وهيكله.

المبحث الأول: التعريف بسورة يونس ومقاصدها.

المبحث الثاني: مواضع الاستفهام في سورة يونس وأثرها في تحقيق مقاصدها.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بسورة يونس ومقاصدها:

اسمها وعدد آياتها:

ما عليه جمهور العلماء أن أسماء السور القرآنية توقيفية، لكن هذا لا يمنع من البحث في مناسبة الاسم لمحور السورة أو لموضوعاتها، وسورة يونس ذكر فيها قوم يونس، وكان الحديث عنهم مباشرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾، يونس ٩٨، فالحديث لم يكن عن يونس بل عن قومه، وقد ذُكِرَ يونس عليه السلام في القرآن الكريم ست مرات، ذكرا صريحا باسمه، في النساء والأنعام ويونس والصافات، وذكر بكنيته في سورتين؛ في سورة الأنبياء: (ذا النون)، وفي سورة القلم: (صاحب الحوت).

إن اختيار اسم (يونس) عليه السلام لهذه السورة ربما نجد فيه دلالة واضحة على قضية النجاة من المهالك باللجوء إلى الله تعالى، يقول ابن عاشور: "سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة سورة يونس؛ لأنها انفردت بذكر خصوصية لقوم يونس، أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب؛ فعفا الله عنهم لما آمنوا، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾، يونس: ٩٨، وتلك الخصوصية كرامة ليونس عليه السلام وليس فيها ذكر ليونس غير ذلك، وقد ذكر يونس في سورة الصافات بأوسع مما في هذه السورة ولكن وجه التسمية لا يوجبها"[١].

---

[١] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، ج١١، ص٧٧

وقال الكرماني وهو يقارن بين ذكر نجاة نوح عليه السلام في سورة الأعراف وسورة يونس: "لِم قال هنا في قصة نوح: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، الأعراف: ٦٤، وقال في يونس: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾، يونس: ٧٣؟، الجواب: لأن الألف في أنجيناه للتعدي، والتشديد في نجيناه للتعدي والمبالغة، وكانت المبالغة في يونس أكثر، ألا ترى إلى قوله بعده: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾، يونس: ٧٣، ولفظ (من) يدل على أكثر مما يدل عليه (الذين)؛ لأنه يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، والذين يصلح لجمع المذكر فحسب"[٢]

فاسم السورة (يونس) يرتبط بنبي من أنبياء الله حدثت له نجاة خاصة تجلت فيها عناية الله تعالى بأوليائه الصالحين، كما يرتبط بنجاة قومه بعد أن أنذرهم بالعذاب الذي أوشك أن يقع عليهم؛ فآمنوا فكشف الله عنهم العذاب ومتعهم إلى حين، وهنا يظهر مقصد الدعوة إلى الإيمان بالله وأنه سبب النجاة الأكبر.

قال القاسمي في محاسن التأويل: "سميت به عليه السلام لتضمنها قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ يونس: ٩٨، ففيه غاية ما يفيد فيه الإيمان وضرر تركه وتأخيره، وهو المقصد الأعلى من إنزال الكتاب"[٣]

وهي سورة مكية[١]، وفيها سمات القرآن المكي واضحة وقوية، وعدد آياتها مائة وتسع آيات في عد الكوفى والمكي والمدنيين، والبصري وعطاء، ومائة وعشر في عد الشامي[٢].

---

[٢] غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق: د. سمران سركال العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ج١، ص٤١٢.

[٣] محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٦، ص٣

[١] الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، المعروف بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ)، مجموعة رسائل جامعية ماجستير، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٧هـ، ج١، ص٢١٢.، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في

المناسبات في سورة يونس:

علم المناسبات من العلوم المهمة التي تفيد في معرفة التفسير والتدبر، وهو علم اجتهادي تتفاوت فيه كلمة المفسرين، فمنهم من ينظر إلى المناسبة بين السورة والتي قبلها وبعدها، ومنهم من ينظر إلى مناسبة الآيات فيما بينها، ومنهم من ينظر إلى مناسبة أول السورة مع آخرها، إلى غير ذلك من أوجه المناسبات، وسنقتصر في هذه الفقرة على مناسبة سورة يونس لما قبلها وبعدها ومناسبتها لاسمها.

سورة يونس في ترتيب المصحف تأتي بعد سورة التوبة، وقد تضمنت سورة التوبة كثيرا من شمائل وخصائص رسول الله ﷺ، و"تخلل أثناء آى هذه السورة الكريمة مما شهد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة في الخطاب، ووصفه بالرأفة والرحمة، هذا مع ما انطوت عليه هي والأنفال من قهره أعداءه وتأييده ونصره عليهم وظهور دينه، وعلو دعوته وإعلاء لكلمته إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه، كان ذلك كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك، ومثيرا لتحرك ساكن الحسد من العدو العظيم، ما منحه عليه السلام قال تعالى في هذه السورة: "أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين"[٣]

علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٨م، ج٥، ص٢٠٥.

[٢] فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص٢٨٥.

[٣] البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٠م، ص٢٢٢

ولها مناسبة لما بعدها وهي سورة هود، فقد تناولت سورة يونس الحديث عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وتسليته وكذلك سورة هود، ولما اختتمت سورة يونس "بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتمادا على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال، ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه"[٤]

مقاصد سورة يونس:

(مقاصد السور) عَلَم على عِلمٍ يختص بمقاصد السور القرآنية، وتتداخل فيه أمور عديدة، وهو مركب إضافي سنتكلم فيما يلي عن معناه.

المقاصد لغة:

المقاصد في اللغة: نقل الزبيدي عن ابن جني قوله: أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام والتوجه والنُّهود والنُّهوض نحو الشيء[٥]

أما في الاصطلاح، فقيل هو: "المعاني والأغراض الأساسية، والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها سورة معينة"[١]، وهذا التعريف يركز على الموضوعات والمعاني والأغراض دون المقاصد، وهو أمر لابد من ملاحظته، لأن كثيرا من المتقدمين والمتأخرين استعمل كلمة المقاصد دون التفريق بينها وبين الموضوعات، وأرى أن التعريف المناسب لمقاصد السور أن يقال: ما تتوجه إليه السورة من أهداف من خلال اسمها وموضوعاتها وسياقها ومناسباتها.

---

[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ج٩، ص٢٢٤.

[٥] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت: ١٩٧١م: ج٩: ص٣٦

[١] علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، د. عبد المحسن بن زبن المطيري، جامعة الكويت، د ت، د. ط، ص٧

ونقول ذلك لأن لكل سورة من سور القرآن الكريم اسم خاص بها غالبا ما يكون له تعلق بمقصد السورة، وكذلك السورة قد تتضمن عددا من الموضوعات تشكل في مجموعها منطلقا نحو مقصد محدد يظهر من خلال هذه الموضوعات، وتأتي قضية السياق والمناسبات على مستوى الآيات في السورة الواحدة، وعلى مستوى ما جاورها من السور؛ ليكتمل بها بناء المقصد بالنظر إلى الوحدة الموضوعية في كل سورة، وقد قال البقاعي في هذا المعنى كلاما نفيسا يبين من خلاله أهمية المناسبات والسياق في تبيين المقصد؛ فقال رحمه الله عن كتابه: " لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض؛ حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجزة ما أمامها متصلة بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه، الذي هو للكلام بمنزلة الروح وبيان معاني المفردات، وكل جملة على حيالها بمنزلة الجسد، فالروح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق ويفهم، ويسري ذهنه في ميادين التراكيب ويعلم"[٢].

مقاصد سورة يونس:

يمكننا الوصول إلى مقاصد سورة يونس من خلال اسمها وموضوعاتها التي تناولتها، وأسباب النزول فيها، والألفاظ والمعاني التي تكررت فيها، والمناسبات التي تضمنتها.

وقد تم تناول اسم سورة يونس في أول البحث، وتبين جليا أن اسمها متعلق بموضوع النجاة بالإيمان، والإيمان من أهم مقاصد السورة، وإذا انتقلنا إلى موضوعات السورة فنلاحظ أن الكلام عن النجاة تكرر في السورة عدة مرات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، يونس: ٢٢،

---

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٢٢، ص٤٤٦.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يونس: ٢٨، وقوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، يونس: ٨٦، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾، يونس: ٩٢، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يونس: ١٠٣، وفي كل هذه الآيات ينسب القرآن الكريم النجاة إلى الله الواحد الأحد، وهذا يعزز مقصد الدعوة إلى الإيمان بالله وحده، لأنه بيده مقاليد الأمور، وأمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كم فيكون، ويؤيد هذا ما ورد في السورة من ذكر إمهال الله تعالى لمن كفر به وبرسوله؛ وأنه لحكمة يعلمها الله تعالى، وكذلك ذكر ما أصاب القرون السابقة المكذبة من العذاب والنكال الشديد.

ومن الموضوعات الرئيسة في السورة موضوع إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، ويظهر هذا في بداية السورة وبأسلوب الاستفهام الذي سنفصل الحديث عنه في موضعه من هذا البحث، ويتبع هذا موضوع آخر هو الحديث عن صدق القرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى، وأن الله أعجز به الأولين والآخرين، وبه يتأكد ويتعزز مقصد إثبات النبوة لرسول الله ﷺ، ومن جانب آخر فإن صدق رسول اللهﷺ يثبت حقية القرآن الكريم وأنه كلام الله الذي أوحاه إلى نبيه ﷺ.

ومن موضوعات السورة كذلك الحديث عن اليوم الآخر وإثبات البعث والجزاء يوم القيامة، ومنه يظهر مقصد آخر، ويؤيد ما سبق ورود كلمة الحق مكررة في السورة ثلاثا وعشرين مرة، ومعنى الحق في اللغة الثبات والوجوب، قال الزمخشري: "قال أبو زيد: حقَّ الله الأمر حقا: أثبته وأوجبه، وحق الأمر بنفسه حقا وحقوقا، وقال الكسائي: حققت ظنه مثل حققته، وأنشد:

فبذلت مالك لي وجدت به ... وحققت ظني ثم لم تخب

وحققت الأمر وأحققته: كنت على يقين منه، وحققت الخبر فأنا أحقه: وقفت على حقيقته، ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أحق لكم هذا الخبر، أي أعلمه لكم وأعرف حقيقته"[١]، وكل ما يمكن عده من مقاصد هذه السورة يمكن وصفه بالحق، ولذلك ورد في الحديث عن عبد الله بن عباس قال: "كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، أنْتَ نُورُ السَّمَواتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ، أنْتَ قَيِّمُ السَّمَواتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ، أنْتَ الحَقُّ، ووَعْدُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ، ولِقاؤُكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ حَقٌّ... الحديث"[٢].

ومما يؤخذ من أسباب نزول بعض الآيات ويصلح لاستخلاص المقصد منها، ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾، يونس: ٢، قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدا رسولا أنكرت عليه الكفار، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

إن ما ذكرناه من مقاصد السورة من خلال موضوعاتها المتمثل في إثبات الإيمان بالله وبرسوله وبالقرآن الكريم وباليوم الآخر، هو ما قال به جمع من المفسرين المهتمين بمقاصد السور القرآنية، قال البقاعي: "ومقصودها

---

[١] أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٠٣.

[٢] البخاري، ٦٣١٧

[٣] أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحمي، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، ط٢، ١٩٩٢م، ص٢٤٦

وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس إلا من عنده سبحانه، لأن غيره لا يقدر على شيء منه، وذلك دال بلا ريب على أنه واحد في ملكه، لا شريك له في شيء من أمره، وتمام الدليل على هذا قصة قوم يونس عليه السلام، بأنهم لما آمنوا عند المخايل كشف عنهم العذاب، فدل – قطعا – على أن الآتي به إنما هو الله الذي آمنوا به، إذ لو كان غيره، لكان إيمانهم به سبحانه موجبا للإيقاع بهم"[٤]

وقال ابن عاشور: "ابتدئت بمقصد إثبات رسالة محمد ﷺ بدلالة عجز المشركين عن معارضة القرآن، دلالة نبه عليها بأسلوب تعريضي دقيق بني على الكناية بتهجية الحروف المقطعة في أول السورة كما تقدم في مفتتح سورة البقرة، ولذلك أتبعت تلك الحروف بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، يونس: ١ إشارة إلى أن إعجازه لهم هو الدليل على أنه من عند الله، وقد جاء التصريح بما كني عنه هنا في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، يونس: ٣٨، وأتبع بإثبات رسالة محمد ﷺ وإبطال إحالة المشركين أن يرسل الله رسولا بشرا، وانتقل من ذلك إلى إثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلالة أنه خالق العالم ومدبره، فأفضى ذلك إلى إبطال أن يكون لله شركاء في إلهيته، وإلى إبطال معاذير المشركين بأن أصنامهم شفعاء عند الله، وأتبع ذلك بإثبات الحشر والجزاء، فذلك إبطال أصول الشرك[٥].

لقد تحدث العلماء كثيرا عن مقاصد القرآن عامة، ومن يتأمل كلامهم يجد أن كثيرا مما قيل في مقاصد السور القرآنية لا يخرج في إطاره العام عن تلك المقاصد العامة، لأن القرآن يتكون من هذه السور، فهي تتشكل من مجموع المكي والمدني، وكل منهما له سماته ومميزاته.

---

[٤] نظم الدرر، ٢، ١٦٤

[٥] التحرير والتنوير، ج١١، ص٧٨

ومقاصد سورة يونس تلتقي مع ما ذكره العلماء من مقاصد القرآن الكريم عموما، قال علال الفاسي: "والقصد العام من نزول القرآن هو هداية الخلق وإصلاح البشرية وعمارة الأرض"[١]، وقال ابن عاشور: "إن القرآن أنزله الله تعالي كتابا لصلاح أمـــر الناس كافة، رحـــمة لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالي: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، (النحل:٨٩)، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية"[٢]

وقال الشيخ دراز: "فالشئون التي تناولها القرآن على تنوعها وكثرتها، نستطيع أن نجملها في أربعة مقاصد، هي في الحقيقة كل مطالب الدين والفلسفة والأخلاق، مقصدان نظريان، هما معرفة الحق ومعرفة الخير، ومقصدان عمليان، تثمرهما هاتان المعرفتان إذا قدر لهما أن تثمرا، فثمرة معرفة الحق هي تقديس الحق واعتناقه، وثمرة معرفة الخير هي فعل الخير والتزامه"[٣]

---

[١] مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي: ط٥: ١٩٩١م: ص٨٨

[٢] تفسير التحرير والتنوير، ج١: ٣٨

[٣] نظرات في فاتحة الكتاب، د. محمد عبد الله دراز، مجلة المجلة: العدد ٧: ذوالحجة ١٣٧٦هـــ: يوليو ١٩٥٨م ص٩٧

المبحث الثاني

مواضع الاستفهام في سورة يونس وأثرها في تحقيق مقاصدها.

تعريف الاستفهام:

درج البلاغيون على تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، والخبر هو الكلام الذي يقبل أن يقال فيه أنه صدق أو كذب، والإنشاء هو الكلام الذي لا يقبل أن يقال فيه أنه صدق أو كذب، والإنشاء نوعان طلبي وغير طلبي، والذي يهمنا هنا هو الإنشاء الطلبي، "وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب"[١]

الاستفهام لغة:

الفهم سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها، وقيل: الفهم: تصور المعنى من اللفظ، وقيل: هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن، وفي أحكام الآمدي: الفهم: جودة الذهن من جهة تهيئه لاقتناص ما يرد عليه من المطالب، وهو فهم، ككتف: سريع الفهم، واستفهمني الشيء: طلب مني فهمه فأفهمته إياه، وفهمته تفهيما: جعلته يفهمه[٢].

الاستفهام اصطلاحاً:

الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[٣]، وقيل هو: "طلب

---

[١] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٢٨.

[٢] تاج العروس من جواهر القاموس، مّحمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٩٦٥م، ج٣٣، ص٢٤٤

[٣] كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص١٨.

معرفة اسم الشيء أو حقيقته أو عدده أو صفة لاحقة به"[٤]، أو هو: "استعلام ما في ضمير المخاطب، بطلب حصول صورة الشيء في الذهن تصوراً أو تصديقاً"[٥]، وتحدث السكاكي عن قضية التصور والتصديق في موضوع الاستفهام، فقال: "والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق، ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور، ولا يمتنع انفكاكه من التصديق[٦]، ويرى الزركشي أن الاستخبار وهو طلب خبر ما ليس عندك بمعنى الاستفهام أي: طلب الفهم، ومنهم من فرق بينهما، بأن الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما[٧]، فالمستفهم يخاطب آخر ليحصل عنده الفهم لقضية ما؛ تصوراً أو تصديقاً، وتنحصر دلالة الاستفهام بهذا التعريف على الاستفهام الحقيقي، وهناك معنى آخر هو المعنى المجازي للاستفهام، ويحدث فيه عدول عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ولا شك أن المعنى المجازي للاستفهام هو الذي تظهر فيه الصور الجمالية، والأسرار البلاغية، ويهدف "منشئ الخطاب منه إلى الإقناع أو الامتاع، مع الحفاظ على نسيج البنية الأساسية للاستفهام"[١].

---

[٤] موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٥١

[٥] معجم مصطلحات أصول الفقه، هيثم هلال، دار الجيل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص٢٦

[٦] مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص ٣٠٣

[٧] البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٢٦.

[١] الأغراض البلاغيّة للاستفهام في سورة آل عمران: مقاربة أسلوبيّة، هلا مارتيني، وبن عيسى باطاهر، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، يونيو ٢٠٢١ م، المجلد ١٨ العدد ١، ص٥٧٢-٥٩٨.

وإذا كان كذلك فإن المعنى المجازي تحف به كثير من الملابسات التي توجه معناه، و"وكثيرا ما يتولد من هذه الكلمات معان بمعونة قرائن الأحوال"[٢]، والاستفهام أسلوب عربي دقيق المسلك، يمكِّن المتكلم من التعبير عن خلجات النفس وانفعالاتها، ويعبر به الإنسان عن أغراض عديدة ومعان جديدة، وتظهر فيه براعة المتكلم في مراعاة مقتضى الحال، وقد حفلت كتب البلاغيين قديما وحديثا ببيان أهميته، وتفصيل أمره، ولذلك كثيرا ما تجد تفاوتا بين البلاغيين في فهم وتوجيه بعض معانيه، والمتتبع لهذا الأمر يجد أن "البلاغيين والنقاد القدامى قد أغنوا الأساليب البلاغية بنظراتهم الجمالية والفلسفية، ولا سيما ما يتعلق بالبلاغة القرآنية، ولما اختلفت تفسيراتهم لمعنى الشكل البلاغي أحياناً فإنهم أمدونا بتنوع لا نظير له من الفكر والفن في كل أسلوب من تلك الأساليب، فالوجدان الجمالي الحقيقي في كل أطيافه انبثق من الشكل دون ريب، ولكن عناصره لم تتقيد عندهم بزمان ما أو مكان ما أو سبب ما... فالتذوق الذي مارسوه على الشكل انخرط في صميم التجربة الإبداعية؛ فاستمدوا منه العديد من الرؤى الفكرية والفنية التي لا يستطيع عامة الناس أن يستنبطوها، وكانوا كلما انغمسوا في الأسلوب البلاغي انغماس الصوفي الناسك، واستغرقوا في عالمه الخاص كانوا يستخرجون لنا ضروباً من الجمال الموحية بالصفاء والنقاء والبهاء... ومن ثم أكدوا أن الصورة اللغوية البلاغية ليست مجردة؛ بل هي صورة تعيش في عالم الحياة؛ وتستجيب على الدوام لكل انفعال ولكل فكر"[٣]، وقد يظهر شيء من هذا الكلام في الجانب التطبيقي من هذا البحث، لأنني لاحظت أن بعض مواضع الاستفهام

---

[٢] الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج١، ص٥٨٧

[٣] جمالية الخبر والإنشاء، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٢٠

في سورة يونس وقع فيها تفاوت نابع من تفاوت الفكر واختلاف التذوق، وقد سمى الجرجاني رحمه الله هذا الفن بالمعاني الثواني؛ لأنها تتوارى وتتدثر خلف المعنى الظاهر، وفي تقديري أن المعاني الثواني التي أشار إليها عالمنا الجليل عبد القاهر درجات ومراتب، تظهر أسرارها لمن كان تذوقه نابعا من رؤية متكاملة للنص القرآني الذي توزعت فيه الموضوعات بسياقات مختلفة ومناسبات متعددة، وقد ورد الاستفهام في سورة يونس في ثلاثة وعشرين موضعا، بأدوات متعددة، في سياقات مختلفة، تحتاج إلى أن نبحث فيها ونربط بينها وبين مقاصد السورة المباركة.

الموضع الأول: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾، يونس: ٢

جاء الاستفهام في هذه الآية بالهمزة، والهمزة أم باب الاستفهام، ويطلب بها التصور والتصديق[٤]، ولفهم المعنى المجازي بأبعاده في هذه الآية؛ لا بد من وقفة مع سياقها ومعناها العام، فالناس المقصودون هنا هم كفار قريش الذين أنكروا نبوة محمدﷺ ، وذكْر كلمة الناس دون الكفار مفيد للتوصل إلى نسبة عبارة (رجل منهم)، ولو قيل: الذين كفروا لما صحت تلك النسبة[٥]، وهذا فيه من الحسن والجمال والحجة والمنطق ودلائل النبوة ما فيه؛ ذلك أن محمدا ﷺ رجل منهم يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته وعفته وجميل خصاله وكريم فعاله، وشواهد القرآن الكريم حافلة بهذه المعاني التي تبين شرفه وتقيم الحجة على من كفر به بأنه منهم ويعرفونه حقا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ

---

[٤] أسلوب الاستفهام في القرآن غرضه وإعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٨

[٥] التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، ط ٣، ٢٠٢٢م، ج ٢، ص ٣٥

لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، سبأ: ٤٦، فسماه صاحبهم لإقامة الحجة عليهم أنهم يعرفون فضله وصدقه، وإذا كان كذلك فإن الاستفهام هنا يفيد الإنكار عليهم، كيف يتعجبون من أمر هم يعرفون أنه واقع في مكانه ومصادف لأهله؟، قال أبو السعود: "الهمزة لإنكار تعجبهم ولتعجب السامعين منه لكونه في غير محله، والمراد بالناس كفار مكة،وإنما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع أنه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون.. الخ؛ لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله"[١]

وقال ابن عاشور: "فالهمزة للاستفهام المستعمل في الإنكار، أي كيف يتعجبون من ذلك تعجب إحالة، وفائدة إدخال الاستفهام المستعمل في الإنكار على (كان) دون أن يقال: أعجب الناس، هي الدلالة على التعجيب من تعجبهم المراد به إحالة الوحي إلى بشر، والمعنى: أحَدَث وتقرر فيهم التعجب من وحينا، لأن فعل الكون يشعر بالاستقرار والتمكن فإذا عبر به أشعر بأن هذا غير متوقع حصوله"[٢].

وهذا الاستفهام في هذه الآية وفي هذا السياق يسهم بقوة في تحقيق مقصد إثبات نبوة ﷺ ، وهو مقصد عظيم من مقاصد القرآن عموماً ومن مقاصد سورة يونس بصفة خاصة.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يونس: ٢،

---

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج٤، ص١١٦، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٦، ص٥٨.

[٢] التحرير والتنوير، ج١١، ص٨٣.

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يونس: ٣، وقد جاء بعد جمل خبرية عديدة فيها ما جاء مؤكداً، والخبر إذا جاء مؤكدا فهذا يدل على أن في الأمر تردد او إنكار، وهنا يأتي للرد على المنكرين لقضية إرسال الله تعالى لمحمدﷺ ، ولذلك فإن الاستفهام هنا له مناسبة مع الاستفهام السابق، قال أبو حيان: "ومناسبة هذه لما قبلها؛ أن من كان قادرا على إيجاد هذا الخلق العلوي والسفلي العظيمين وهو ربكم الناظر في مصالحكم، فلا يتعجب أن يبعث إلى خلقه من يحذر من مخالفته ويبشر على طاعته"[٣]

وقد اختلفت كلمة المفسرين في معنى هذا الاستفهام، فقال أبو حيان: هو للحض على التدبر والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته[٤]، وقال الشوكاني: هو للإنكار والتوبيخ والتقريع، لأن من له أدنى تذكر وأقل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه[٥]، وقال ابن عاشور: "وجملة: أفلا تذكرون ابتدائية للتقريع وهو غرض جديد، فلذلك لم تعطف، فالاستفهام إنكار؛ لانتفاء تذكرهم إذ أشركوا معه غيره ولم يتذكروا في أنه المنفرد بخلق العوالم وبملكها وبتدبير أحوالها"[١]

وهذا الاستفهام الإنكاري يأتي لتحقيق مقصد توحيد الله تعالى وإثبات الربوبية له، إذ يتضمن الإنكار على المشركين الذين كفروا مع وضوح الأدلة على قدرته وتدبيره جل شأنه، وكلمة (تذكرون) في نهاية الآية تشير إلى أن قضية الإيمان بالله تعالى قضية راسخة في الفطرة الإنسانية، وهي التي جاءت

---

[٣] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج٦، ص١١.

[٤] المرجع السابق، ج٦، ص١٢

[٥] فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ج٢، ص٤٨٢.

[١] التحرير والتنوير، ج١١، ص٨٩.

الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، الأعراف: ١٧٢، "فلذلك أوثر هنا دون (لعلكم تتفكرون) للإشارة إلى أن الاستدلال على وحدانية الله تعالى قد تقرر في النفوس بالفطرة، وبما تقدم لهم من الدعوة والأدلة فيكفي في الاستدلال مجرد إخطار هذه الأدلة في البال"[٢].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يونس: ١٦

الكلام هنا عن القرآن الكريم، وهو المتلو عليهم، والكلام أيضا عن رسول الله ﷺ الذي لبث فيهم عمرا قبل أن ينزل الوحي، ويرتبط الاستفهام بهذين الموضوعين ارتباطا واضحا وقوياً، ومعنى الآية إجمالاً: "وإذا تتلى على أولئك المشركين آياتنا الواضحة المنزلة عليك يا محمد قالوا على سبيل العناد والحسد: ائت بقرآن آخر سوى هذا القرآن الذي تتلوه علينا، أو بدله بأن تجعل مكان الآية التي فيها سب لآلهتنا، آية أخرى فيها مدح لها"[٣]، والاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم التعقل في أمر وضحت دلائله وبانت شواهده.

فالمقترح الذي تقدموا به لا يقبله عاقل ولا يخرج من عاقل، قال الزمخشري: "لو شاء الله ما تلوته عليكم؛ يعنى أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات، وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه علماء؛ فيقرأ عليهم كتابا فصيحا، يبهر كل كلام فصيح، ويعلو على كل منثور ومنظوم، مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع، وأخبار مما كان وما يكون، ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله، وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة

---

[٢] المرجع السابق، ج١١، ص٨٩

[٣] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ج٧، ص٣٩.

تطلعون على أحواله، ولا يخفى عليكم شيء من أسراره، وما سمعتم منه حرفا من ذلك، ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني"[٤].

فمن تدبر وتفكر في أمر محمد ﷺ؛ علم عقلاً أنه رسول من عند الله، فقد عاش بينهم أربعين سنة لا يتعلم ولا يقرأ، ولا يقول إلا الحق، ولا يطمع في شيء من دنياهم الفانية، ومن تدبر القرآن الكريم علم عقلاً أن هذا القرآن هو أمانة الله إلى رسوله ﷺ ليس له فيه إلا البلاغ، ومن نظر إلى كلامهم وتمعن فيه وجد أن الاستفهام الإنكاري يحقق مقصد إثبات نبوة وصدق محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن الكريم من عند الله وحده.

الموضع الرابع: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، يونس: ١٨

تُصوِّر الآية جرائم المشركين وتعديهم بعبادة دون الله، وادعاء أن ما يعبدون شفعاء عند الله، فرد الله عليهم بأسلوب الاستفهام الذي حمل الإنكار والتهكم والسخرية منهم، قال الزمخشري: "وهو إنباء بما ليس بالمعلوم لله، وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات، لم يكن شيئا؛ لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه، فكان خبرا ليس له مخبر عنه، فإن قلت: كيف أنبأوا الله بذلك؟ قلت: هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام"[١]

---

[٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٢٢.

[١] الكشاف، ج٣، ص ١٢٢

وقال أبو السعود: هذا تبكيت لهم[٢]، وقال ابن عطية: "فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يقررهم ويوبخهم؛ أهم يعلمون الله بأنباء من السماوات والأرض لا يعلمها هو؟[٣]، وهكذا سارت كلمة المفسرين في توجيه هذا الاستفهام نحو معنى التوبيخ والتهكم والتبكيت؛ لعظمة الجرم الذي ارتكبوه، وفي ذلك تحقيق وتثبيت لمقصد عبادة الله والتوجه إليه وحده، ويؤيده أسلوب التذييل الذي ختمت به الآية الكريمة، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، يونس: ١٨

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، يونس: ٣١

انطوت هذه الآية الكريمة على جملة من الاستفهامات، وبالتأمل فيها فإنها استفهامات تخطر على بال كل إنسان طلب الحق والإنصاف، فالرزق وحركة السمع والبصر ودورة الحياة وتدبير الأمر؛ لا يمكن أن تنتظم إلا بأمر الخالق الواحد المدبر، وهذه الاستفهامات تحمل في طياتها برهان الخلق ودلالته على الخالق، قال ابن عاشور: "وهذه الجملة تتنزل منزلة الاستدلال لقوله: ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾، يونس: ٣٠، لأنها برهان على أنه المستحق للولاية، فاحتج على ذلك بمواهب الرزق الذي به قوام الحياة، وبموهبة الحواس، وبنظام التناسل والتوالد الذي به بقاء الأنواع، وبتدبير نظام العالم وتقدير المقدرات، فهذه كلها مواهب من الله، وهم كانوا يعلمون أن جميع ما ذكر لا يفعله إلا الله؛ إذ لم يكونوا ينسبون إلى أصنامهم هذه الأمور، فلا جرم أن كان المختص بها هو مستحق الولاية والإلهية، والاستفهام تقريري، وجاء الاستدلال

---

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٤، ص١٣٢

[٣] المحرر الوجيز، ج٣، ص١١١

بطريق الاستفهام والجواب؛ لأن ذلك في صورة الحوار، فيكون الدليل الحاصل به أوقع في نفوس السامعين"[٤]

أما الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، يونس: ٣١، فللإنكار، قال الألوسي: "الهمزة لإنكار عدم الاتقاء بمعنى إنكار الواقع كما في قولك: أتضرب أباك لا بمعنى إنكار الوقوع كما في قولك: أأضرب أبي؟ والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم، أي أتعلمون ذلك فلا تتقون"[٥]

فمن غابت عن إدراكه كل هذه الأدلة البينة والبراهين الساطعة الدالة على قدرة الحق تعالى وتدبيره، حري به أن ينكر عليه، والإنكار يأتي في سياق تثبيت ربوبية الحق تعالى وقدرته، وهو مقصد من مقاصد السورة الأساسية.

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾، يونس: ٣٢

قال الزمخشري: "يعنى أن الحق والضلال لا واسطة بينهما، فمن تخطى الحق وقع في الضلال، فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك، وعن السعادة إلى الشقاء؟"[١]، إنّ ما ذكرته الآيات السابقة في حق الله تعالى يؤكد أن لهذا الكون خالقا ومدبرا، وهو الله جل في علاه، ذلك هو الحق الذي لا ينبغي لأي إنسان أن يكابر في الإيمان به، بل عليه أن يذعن ويسلم له، فالآية فيها استفهامان، الأول إنكاري، قال أبو السعود: "وإظهار الحق إما لأن المراد به غير الأول، وإما لزيادة التقرير ومراعاة

---

[٤] التحرير والتنوير، ج١١، ص١٥٥

[٥] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٦، ص١٠٥

[١] الكشاف، ج٣، ص١٣٥

كمال المقابلة بينه وبين الضلال، والاستفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع ونفيه، أي ليس غير الحق إلا الضلال الذي لا يختاره أحد"[٢]

والكلام في (ماذا) يحتاج إلى تفصيل، لأن من علماء النحو من يقول: إن "(ذا) في (ماذا) مركبة تركيبا مزجيا مع (ما)، فهما اسم واحد ذو جزأين، ك (من ذا)، ويحتمل أن تكون (ذا) اسم موصول وأن تكون مركبة مع من أو ما تركيبا مزجيا نحو من ذا رأيت؟، وماذا أكلت؟ ولك في هذه الحالة حرية الاختيار فتجعل من أو ما وحدهما اسم الاستفهام فتكون ذا اسم موصول، أو تجعل من ذا مركبة وماذا مركبة فلا يكون ثمة اسم موصول"[٣]، وقال ابن عاشور: "و (ماذا) مركَّبٌ من (ما) الاستفهامية و (ذا) الذي هو اسم إشارة، وهو يقع بعد (ما) الاستفهامية كثيراً، وأحسن الوجوه أنه بعد الاستفهام مزيد لِمجرد التأكيد"[٤]

وقد اختصت ذا "من بين سائر أسماء الإشارة بأنها تستعمل موصولة وتكون مثل ما في أنها تستعمل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا كان أو مثنى أو مجموعا فتقول: من ذا عندك وماذا عندك سواء كان ما عنده مفردا مذكرا أو غيره، وشرط استعمالها موصولة أن تكون مسبوقة ب ما أو من الاستفهاميتين"[٥]

ويرجح ابن عاشور أن الاستفهام هنا في معنى النفي، ولذلك وقع بعده الاستثناء في قوله: إلا الضلال، "فالمعنى: ما الذي يكون إثر انتفاء الحق، ولما

---

[٢] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص١٤٢، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج٥، ص٢٦٣.

[٣] نحو اللغة العربية، د. محمد النادري، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ص٩٢٩

[٤] التحرير والتنوير، ج١١، ص١٥٨

[٥] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط ٢٠، ١٩٨٠، ج١، ص١٥٢

كان الاستفهام ليس على حقيقته؛ لأنه لا تردد في المستفهَم عنه، تعيّن أنه إنكار وإبطال؛ فلذا وقع الاستثناء منه بقوله (إلا الضلال)، فالمعنى لا يكون إثر انتفاء الحق إلا الضلال إذ لا واسطة بينهما، فلما كان الله هو الرب الحق تعين أن غيره مما نسبت إليه الإلهية باطل، وعبر عن الباطل بالضلال لأن الضلال أشنع أنواع الباطل"[٦]

وهذا الاستفهام يثبت قضية أساسية هي قضية أن الله هو الحق وما سواه هو الباطل، وقد جاءت هذه المعاني في سور أخرى بأسلوب آخر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، الحج: ٦٢، فهنا جاءت الآيات بأسلوب الخبر المؤكد، وهو أسلوب مطرد في سورة الحج.

وفي الآية استفهام آخر هو قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾، يونس: ٣٢،

(أنى) تأتي بمعنى كيف كقوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾، مريم، ٣٧، ومعناه: من أين لك هذا، وقد يجازى بها وتكون بمعنى من أين نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾، الأنعام: ١٠١، والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما للآخر، قال الكميت:

أنى ومن أين آبك الطرب ... من حيث لا صبوة ولا ريب[١]

وقال الزمخشري: "و(كيف) جار مجرى الظروف، ومعناه السؤال عن الحال، تقول: كيف زيد؟ أي على أي حال هو، وفي معناه أني، قال الله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾، البقرة: ٢٢٣،"[٢]

---

[٦] التحرير والتنوير، ج١١، ص١٥٩

[١] حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٦١

وزاد ابن عاشور أنها قد تكون للاستفهام عن المكان، قال: "و(فأنى) استفهام عن المكان، أي إلى مكان تصرفكم عقولكم، وهو مكان اعتباري، أي أنكم في ضلال وعماية كمن ضل عن الطريق ولا يجد إلا من ينعت له طريقا غير موصولة فهو يصرف من ضلال إلى ضلال"[٣].

والاستفهام في هذا الجزء من الآية للإنكار، قال أبو السعود: "استفهام إنكاري، بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه، وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الفعل؛ لأن كل موجود لا بد من أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعا، فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا، والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله؛ أي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد إلى الضلال عن السبيل المستبين وهو الإشراك وعبادة الأصنام، أو من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته إلى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة، وفي إيثار صيغة المبني للمفعول إيذان بأن الانصراف من الحق إلى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بإرادته؛ وإنما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي"[٤]

إن أسلوب الاستفهام في بعض السياقات قد يأتي محملا بالحجج والبراهين العقلية والمنطقية التي من خلالها يبرز دور مكانة العقل في ترسيخ وتبيت مبادئ الإيمان، وواضح دور الاستفهام هنا في تثبيت هذا المعنى الذي يبرز القضية في معادلة لا مجال فيها للمغالطة وتشويش الحقائق، لأن دلالته "على الإفحام دلالة برهانية قاطعة، لأن الحق والضلال أي الباطل لا واسطة

---

[٢] المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢١٧

[٣] التحرير والتنوير، ج١١، ص١٥٩

[٤] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص١٤٢

بينهما، فإما الحق وهو ما عليه الموحدون، وإما البطل وهو ما عليه المشركون"[١]

الموضع السابع: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، يونس: ٣٤.

الاستفهام في الآية في موضعين الأول: هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، والثاني: فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.

وفي الأول "احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الإشراك، ولم يعطف إيذانا باستقلاله في إثبات المطلوب، والسؤال للتبكيت والإلزام"[٢]، و(أنى) في الاستفهام الثاني بمعنى كيف، والمعنى: كيف تنقلبون من الحق إلى الباطل؟ والمراد من السؤال "التعجب منهم في الذهاب عن هذا الأمر الواضح الذي دعاهم الهوى والتقليد أو الشبهة الضعيفة إلى مخالفته، لأن الإخبار عن كون الأوثان آلهة كذب وإفك، والاشتغال بعبادتها مع أنها لا تستحق هذه العبادة يشبه الإفك".[٣]

والاستفهام في الموضعين يقوى حقيقة الإيمان بالله وأن وحده القادر على بدء الخلق وإعادتهم يوم القيامة، وهو مقصد من مقاصد السورة.

الموضع الثامن: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، يونس: ٣٥

في الآية الكريمة عدد من الاستفهامات؛ الأول: هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟، والشرك من أكبر الآثام التي وقع فيها القوم، إذا غيبوا عقولهم واكتفوا بتقليد الآباء في هذا الأمر، والاستفهام موجه لهؤلاء

---

[١] التفسير البلاغي للقرآن الكريم، ج٢، ص٤٧

[٢] روح المعاني، ج٦، ١٠٦

[٣] مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج١٧، ص٢٤٩.

المشركين، ومعنى (يهدي إلى الحق) "أي بوجه من الوجوه؛ فإن أدنى مراتبِ المعبودية هدايةُ المعبودِ لعبَدته إلى ما فيه صلاحُ أمرِهم، وأما تعيــينُ طريقِ الهدايةِ وتخصيصُه بنصب الحجج وإرسالِ الرسلِ والتوفيقِ للنظر والتدبر كما قيل؛ فمُخِلٌّ بما يقتضيه المقام من كمال التبكيتِ والإلزامِ؛ فإن العجزَ عن الهداية على وجه خاصَ لا يستلزم العجزَ عن مطلق الهدايةِ".[٤]، ويتضح من هذا أن الاستفهام إنكاري يتضمن معنى التبكيت، وفيه تأكيد على قصر أمر الهداية على الله وحده، وقد أفصح عنه في جواب الاستفهام بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾، يونس: ٣٥.

والاستفهام الثاني في الآية في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾، يونس: ٣٥، وفيه تقرير وتأكيد على أن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء وهو أحق أن يتبع، وأن الشركاء لا يملكون هداية، فهو إذا استفهام تقريري، "وأفعل التفضيل ليست على ظاهرها بل هي بمعنى حقيق، وأوثرت لفظا لما فيها من نفي المساواة المقتضي لنفي الإشراك أصلا بمعونة المقام، (لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى)، كناية عن معبودات المشركين من الجن والإنس والملائكة، ونفي القدرة عن هذه الشرائح المدركة؛ يستلزم نفيها بالطريق البرهاني عن ما عبدوه من صور وأشكال جمادية وحيوانية"[١]

وهناك استفهام آخر في الآية وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، يونس: ٣٥، قال ابن عاشور: "وقول العرب: ما لك؟ ونحوه استفهام يعامل معاملة الاستفهام في حقيقته ومجازه"[٢]، وعلى هذا فيمكن أن

---

[٤] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص١٤٣.

[١] التفسير البلاغي، ج٢، ص٥٣

[٢] التحرير والتنوير، ج١١، ص١٦٤

يكون: "(ما لكم) كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان"[٣]، ولكن الغالب في هذا النوع من الاستفهام أن يأتي بعده حال، وقد لخص أبو حيان معنى الاستفهامين فقال: "فما لكم: استفهام معناه: التعجب والإنكار أي: أي شيء لكم في اتخاذ هؤلاء الشركاء، إذ كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم؟ كيف تحكمون استفهام آخر أي: كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أندادا وشركاء؟ وهاتان جملتان أنكر في الأولى، وتعجب من اتباعهم من لا يهدي ولا يهتدي، وأنكر في الثاني حكمهم بالباطل وتسوية الأصنام برب العالمين"[٤].

وقال الشوكاني: "هذا تعجيب من حالهم باستفهامين متواليين أي: أي شيء لكم؟ كيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله؟، وكلا الاستفهامين للتقريع والتوبيخ"[٥]

والآية محملة بهذه الاستفهامات وفيها الإنكار عليهم والتقريع والتوبيخ لأجل إظهار الخلل العقلي والجمود الفكري الذي وقعوا فيه، وفيها تثبيت مقصد التوحيد والإيمان الذي تظهره السورة المباركة من خلال هذه الاستفهامات قضية واضحة البرهان قوية البيان.

الموضع التاسع: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يونس: ٣٨.

تتحدث هذه الآية عن القرآن الكريم، وعن افتراءات المشركين حوله، وزعمهم أن محمداً ﷺ افتراه من دون الله، ومن هذه الناحية يمكننا أن نقول إن الآية تتحدث عن القرآن وعن رسول اللهﷺ ، لأن إثبات نبوة محمد ﷺ تؤكد

---

[٣] معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج٣، ص٢٠.

[٤] البحر المحيط، ج٦، ص ٥٦

[٥] فتح القدير، ج٢، ص ٥٠٦

صدقية القرآن الكريم، وصدقية القرآن تؤكد نبوته ﷺ ، فالأمران متداخلان، وقد عرض الأمر بأسلوب الاستفهام ب (أم)، و"لا يكون الكلام بها إلا استفهاما، ويقع الكلام بها في الاستفهام على وجهين: على معنى أيهما وأيهم، وعلى أن يكون الاستفهام الآخر منقطعا من الأول"[٦].

وللمفسرين كلام جميل حول هذا الاستفهام ومعناه، قال أبو السعود: ﴿أم يقولون افتراه﴾ أي: بل أيقولون: افتراه محمد ﷺ والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده"[٧]، وقال الألوسي: "أم منقطعة وهي مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه والجمهور، أي بل يقولون، وبل انتقالية والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده، أي ما كان ينبغي ذلك، وجوز أن تكون للتقرير لإلزام الحجة، والمعنيان على ما قيل متقاربان، وقيل: إن أم متصلة ومعادلها مقدر، أي أتقرون به أم تقولون افتراه وقيل: هي استفهامية بمعنى الهمزة وقيل: عاطفة بمعنى الواو، والصحيح الأول"[١].

ومعنى الإنكار في الآية قوي وواضح، ويظهر مقصد السورة المباركة في إثبات نبوة محمد ﷺ، وأن هذا القرآن هو معجزته التي منَّ الله بها عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، الحجر: ٨٧، كما يؤكد من جانب آخر على صدق رسول الله ﷺ وأنه لا يفتري الكذب، ويؤكد هذه المعاني ما جاء في الآيات التي تلي هذه الآية.

الموضع العاشر والحادي عشر: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾، يونس: ٤٢-٤٣

---

[٦] الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٦٩

[٧] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ١٤٦

[١] روح المعاني، ج٦، ص ١١١

تتحدث الآيتان عن حال المشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أتيح له الاستماع إليه، ومنهم من أتيح له النظر في أحواله وتصرفاته، وكلا الأمرين سبب من أسباب التعرف على حقيقة رسول الله ﷺ وما كان عليه من الأخلاق الحسنة والمنطق الجميل، ومن ثم سبب للهداية والإيمان به، ولكنهم مع ذلك لم يهتدوا ولم يصدقوه، فأصبح حال من يستمع إليه حال الأصم الذي لم يسمع وبالتالي لا يعقل، وأصبح حال من ينظر إليه ولا يهتدي حال الأعمى الذي لا يبصر، وقبل أن ندخل في تحليل الاستفهامين نورد كلاما نفيسا لأبي حيان قال فيه: "والمقصود من الآيتين إعلامه عليه السلام بأن هؤلاء الكفار قد انتهوا في النفرة والعداوة والبغض الشديد في رتبة من لا ينفع فيه علاج البتة، لأن من كان أصم أحمق وأعمى فاقد البصيرة لا يمكن ذلك أن يقف على محاسن الكلام وما انطوى عليه من الإعجاز، ولا يمكن هذا أن يرى ما أجرى الله على يدي رسوله من الخوارق، فقد أيس من هداية هؤلاء"[٢].

وتفاوتت كلمة المفسرين في هذين الاستفهامين؛ فمنهم من قال: الاستفهام إنكاري[٣]، "وكون الاستفهام في الآيتين للإنكار بناء على تنزيل المخاطب ﷺ منزلة من رأى نفسه قادرا على إقناعهم وهدايتهم"[٤]، ولكن النظم القرآني وسياق الآيات لا يقبل هذا، ولذلك نحا ابن عاشور منحى آخر في فهم الاستفهام؛ فقال: "وهذان الاستفهامان مستعملان في التعجيب من حالهم إذ يستمعون إلى دعوة النبيﷺ ولا يعقلونها، وإذ ينظرون أعماله وسيرته ولا

---

[٢] البحر المحيط، ج٦، ص ٦٣

[٣] فتح القدير، ج٢، س ٦٠٩، وانظر إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ١٤٨، ونظم الدرر، ج٩، ص ١٢٨

[٤] التفسير البلاغي، ج ٢، ص ٥٩.

يهتدون بها، فليس في هذين الاستفهامين معنى الإنكار على محاولة النبي إبلاغهم وهديهم لأن المقام ينبو عن ذلك"[٥].

وأرى أن رأي ابن عاشور في فهمه لهذا الاستفهام هو الأصوب والملائم للسياق ولمقاصد السورة التي من أبرزها بيان شواهد النبوة ودلائل الرسالة، وما يؤكد ما ذهبنا إليه أن لهاتين الآتين نظائر في القرآن الكريم، ومن ذلك آية الأعراف التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، الأعراف: ١٩٨، وذهب كثير من المفسرين بعيداً في فهم هذه الآية؛ فبعضهم حملها على الأصنام، وبعضهم تردد بين القولين، أعني القول بأنها في المشركين والقول بأنها في الأصنام، قال الشوكاني: "والمراد الأصنام إنهم يشبهون الناظرين، ولا أعين لهم يبصرون بها، قيل: كانوا يجعلون للأصنام أعينا من جواهر مصنوعة، فكانوا بذلك في هيئة الناظرين ولا يبصرون، وقيل: المراد بذلك المشركون، أخبر الله عنهم بأنهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بأبصارهم، وإن أبصروا بها غير ما فيه نفعهم"[١] وقال ابن جزي: "إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله: ينظرون مجاز، وقوله: لا يبصرون حقيقة، لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئاً، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجازاً على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون"[٢].

ولكن من تدبر السياق والمقام يظهر له أنها في المشركين الذين فوَّتوا على أنفسهم نعمة الهداية بعد أن أنعم الله عليهم برؤية رسول الله ﷺ والاستماع

---

[٥] التحرير والتنوير، ج١١، ص ١٧٨

[١] فتح القدير، ج٢، ص ٣١٧

[٢] التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ج١، ص ٣١٧.

إلى حديثه وإلى القرآن الكريم، قال الألوسي: "وترى المشركين ناظرين إليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه، أو لا يبصرون الحجة كما قال السدي ومجاهد، ونقل عن الحسن أن الخطاب في ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ للمؤمنين، على أن التعليل قد تم عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَنْصُرُونَ﴾، الأعراف: ١٩٧، أي: وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام لا يلتفتوا إليكم ولا يقبلوا منكم، وعلى هذا يحسن تفسير السماع بالقبول، وجعل ﴿وَتَرَاهُمْ﴾ خطابا لسيد المخاطَبين بطريق التجريد، وفي الكلام تنبيه على أن ما فيه عليه الصلاة والسلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين"[٣].

وقال أبو حيان: "وقال مجاهد والحسن والسدي: الضمير المنصوب في ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ يعود على الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون؛ إذ لم يتحصل لهم عن الاستماع والنظر فائدة، ولا حصلوا منه بطائل، وهذا تأويل حسن، ويكون إثبات النظر حقيقة لا مجازا، ويحسن هذا التأويل الآية بعد هذه إذ في آخرها: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: الأعراف: ١٩٩، أي الذين من شأنهم أن تدعوهم لا يسمعوا وينظرون إليك وهم لا يبصرون، فتكون مرتبة على العلة الموجبة لذلك وهي الجهل"[٤].

ولقد أطلت النفس في هذه الآية لأنها تؤكد ما ذهب إليه ابن عاشور رحمه الله، على الرغم من أنه فات عليه ما فات إخوانه من المفسرين في فهم آية الأعراف، والاستفهام بهذا التصور والدلالة يصب بقوة في بيان دلائل النبوة الذي هو مقصد أساس في السورة المباركة.

الموضع الثاني عشر: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يونس: ٤٨

---

[٣] روح المعاني، ج٥، ص١٣٧.

[٤] البحر المحيط، ج٥، ص ٢٥٥.

تصور الآية وتحكي ما يقوله المشركون استعجالا للعذاب الذي ينكرونه ولا يؤمنون به، والاستفهام منهم على وجه الإنكار، قال الزمخشري: "مَتى هذَا الْوَعْدُ استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له"[٥]، وهذا الإنكار منهم تم الرد عليه في الآيات التالية له، وستأتي استفهامات أخرى لها تعلق به نعرضها في موضعها.

الموضع الثالث عشر: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، يونس: ٥٠

هذا واحد من الأجوبة التي تكفل بها القرآن للرد على سؤالهم الوارد في الاستفهام الذي عرض سابقا، "وحاصل هذا الجواب؛ إن قدر حصول ما سألتم تعيين وقته ونزول كسف من السماء بكم أو نحوه؛ ماذا يحصل من فائدة لكم في طلب تعجيل حصوله؟ إذ لا تخلون عن أن تكونوا تزعمون أنكم تؤمنون حينئذ فذلك باطل؛ لأن العذاب يعاجلكم بالهلاك فلا يحصل إيمانكم"[١].

والاستفهام ب (أرأيتم) فيه معنى أخبروني[٢]، وقال بعض المعاصرين: إن الاستفهام ب (أرأيت) "يراد به استحضار صورة ما دخلت عليه هذه العبارة في الذهن؛ ليحكم بها وهي حاضرة ماثلة في المشاعر، لتهويل تلك الصورة وغرابتها، سواء كانت الرؤية بصرية او علمية"[٣]، وقال غيره: "وكلمة أرأيت تستعمل في القرآن للتنبيه والحث على الرؤية والتأمل، فهو استفهام للتنبيه مؤداه أرأيت كذا أو عرفته؟ إن لم تكن أبصرته أو عرفته فانظره وتأمله وأخبرني عنه، ولما كانت الرؤية للشيء سببا لمعرفته وللإخبار

---

[٥] الكشاف، ج٣، ص ١٤٨

[١] التحرير والتنوير، ج١١، ص ١٩١.

[٢] الكتاب، سيبويه، ج١، ص٢٣٩

[٣] التفسير البلاغي، ج٢، ص ٦٣

عنه، أطلق السبب وأريد المسبب فهو مجاز مرسل علاقته السببية والمسببية"[٤].

والاستفهام ب(أرأيت) للإنكار، "والجملة الشرطية متعلقة بـــ (أَرَأَيْتُمْ)، والمعنى: أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى أي شيء تستعجلون منه سبحانه، والشيء لا يمكن استعجاله بعد إتيانه، والمراد به المبالغة في إنكار استعجاله بإخراجه من حيز الإمكان، وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد إتيانه بناء على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة، كما أشير إليه، وهذا الإنكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، النحل: ١، خلا أن التنزيل هناك صريح وهنا ضمني، كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه: أرأيت إن أعطيتك حقك فماذا تطلب مني؟ يريد المبالغة في إنكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الإعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه"[٥].

وفي الآية استفهام آخر هو قوله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، يونس: ٥٠، والاستفهام فيه للإنكار، "ووجه الإنكار عليهم في استعجالهم؛ أن العذاب مكروه تنفر منه القلوب وتأباه الطبائع؛ فما المقتضى لاستعجالهم له؟"[٦]، وفيه أيضا معنى النفي، وتأتي هذه الاستفهامات في سياق الرد على قولهم الذي حكاه القرآن الكريم في الآية السابقة.

الموضع الرابع عشر: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، يونس: ٥١.

---

[٤] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧-١٩٩٨م، ج٧، ص ٨٢.

[٥] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ١٥٣.

[٦] فتح القدير، ج٢، ص ٦١٣.

والاستفهام بالهمزة "لإنكار إيمانهم حيث لا ينفع الإيمان، وذلك بعد نزول العذاب، وهو يتضمن معنى التهويل عليهم وتفظيع ما فعلوه في غير وقته مع تركهم له في وقته الذي يحصل به النفع والدفع"[٧]، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، يونس: ٥١، للتوبيخ[١]، وكل هذه الردود التي جاء بها القرآن الكريم للرد على إنكارهم العذاب؛ تأتي في سياق إثبات وقوعه وقربه، وبيان سفههم وحماقتهم وقلة عقولهم، وكل ذلك جاء وتحته من النكات البلاغية الكثير.

الموضع الخامس عشر: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، يونس: ٥٢.

الاستفهام ب (هل) في الآية يفيد التقرير، والأسلوب هنا أسلوب القصر، وهو قصر موصوف على صفة، ومعلوم أن من فوائد أسلوب القصر التقرير والتأكيد، أي: هذا الجزاء بسبب كفركم وأعمالكم، ومنها الاستهزاء والسخرية المضمن في قولهم الذي سيقت من أجله هذه الردود.

الموضع السادس عشر: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، يونس: ٥٣.

الاستفهام بالهمزة وارد من الكفار على سبيل الإنكار والسخرية، وهذا القول معطوف على قولهم السابق حينما استعجلوا العذاب، ولأن هذا السؤال يشي بشيء من الجد في ظاهره مع ما يحمله من إشارات الاستهزاء والسخرية؛ جاء الرد في القول المأمور به رسول الله ﷺ متضمنا جوابا قويا مؤكدا، ولابن عاشور كلام جميل في الرد على علي هذ الاستفهام قال فيه: "ولذلك اشتمل الجواب المأمور به على مراعاة الحالتين؛ فاعتبر أولا ظاهر

---

[٧] المرجع السابق، ج٢، ص ٦١٣.

[١] فتح القدير، ج٢، ص ٦١٣.

حال سؤالهم فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيها على أن الأولى بهم سؤال الاسترشاد تغليطا لهم واغتناما لفرصة الإرشاد بناء على ظاهر حال سؤالهم، ولذلك أكد الجواب بالتوكيد اللفظي إذ جمع بين حرف (إي) وهو حرف جواب يحقق به المسئول عنه، وبين الجملة الدالة على ما دل عليه حرف الجواب، وبالقسم، و(إن)، ولام الابتداء، وكلها مؤكدات، والاعتبار الثاني اعتبار قصدهم من استفهامهم فأجيبوا بقوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ . فجملة: (وما أنتم بمعجزين) معطوفة على جملة جواب القسم فمضمونها من المقسم عليه، ولما كان المقسم عليه جوابا عن استفهامهم كان مضمون (وما أنتم بمعجزين) جوابا عن الاستفهام أيضا باعتبار ما أضمروه من التكذيب، أي هو واقع وأنتم مصابون به غير مفلتين منه"[٢].

وبيّنٌ أثر الجواب على هذا الاستفهام الصادر منهم إنكارا واستهزاء وسخرية؛ في بيان حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ من الدعوة للإيمان وما يستلزمه هذا الإيمان، وكل هذا يسير في اتجاه تحقيق مقاصد السورة وتثبيت معانيها، لأنك تلاحظ الحجج القوية والأساليب المتنوعة التي أفحم القرآن من خلالها هؤلاء لمشركين ودحض حججهم وأباطيلهم.

الموضع السابع عشر: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾، يونس: ٥٩.

قبل الخوض في الاستفهام الوارد في الآية ودلالته، يجدر بنا أن نقف عند تعلق هذه الآية بما قبلها، لأن هذا يفيد جدا في فهم الاستفهام الوارد فيها وعلاقته بمقاصد السورة، وللرازي كلام نفيس حول تعلق الآية بما قبلها خلاصته أن المقصود من هذا الكلام ذكر طريق ثالث في إثبات النبوة، قال رحمه الله: "وتقريره أنه عليه الصلاة والسلام قال للقوم: إنكم تحكمون بحل

---

[٢] التحرير والتنوير، ج١١، ص١٩٦.

بعض الأشياء وحرمة بعضها، فهذا الحكم تقولونه على سبيل الافتراء على الله تعالى، أو تعلمون أنه حكمٌ حكمَ الله به؟ والأول طريق باطل بالاتفاق، فلم يبق إلا الثاني، ثم من المعلوم أنه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة، ولما بطل هذا، ثبت أن هذه الأحكام إنما وصلت إليكم بقول رسول أرسله الله إليكم، ونبي بعثه الله إليكم، وحاصل الكلام أن حكمهم بحل بعض الأشياء وحرمة بعضها مع اشتراك الكل في الصفات المحسوسة والمنافع المحسوسة، يدل على اعترافكم بصحة النبوة والرسالة، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكنكم أن تبالغوا هذه المبالغات العظيمة في إنكار النبوة والرسالة، وحمل الآية على هذا الوجه الذي ذكرته طريق حسن معقول، الطريق الثاني: في حسن تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنه عليه الصلاة والسلام، لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة نبوة نفسه وبين فساد سؤالاتهم وشبهاتهم في إنكارها، أتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرائعهم وأحكامهم، وبين أن التمييز بين هذه الأشياء بالحل والحرمة، مع أنه لم يشهد بذلك لا عقل ولا نقل طريق باطل ومنهج فاسد، والمقصود إبطال مذاهب القوم في أديانهم، وفي أحكامهم"[1].

وهذه من روائع الرازي في المناسبات، وربما دعاه إلى ذلك انتباهه لمقاصد السورة، وقد تبين أن من أعظم مقاصدها إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ.

الآن نعود للاستفهامات الواردة في الآية، وهي: (أرأيتم)- (آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) – (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)، ففي (أرأيتم) مطلوب استحضار نعمة الرزق التي وهبها لهم الله وكيف فعلوا فيها من تقسيم إلى حلال وحرام بغير إذن من الشارع الحكيم، ولذلك جاء بعده الاستفهام (آلله أذن لكم)، وهو استفهام إنكاري، أي أن الله ينفي أن يكون أذن لهم وينكر ذلك عليهم، أما (أم) في الاستفهام الأخير فاختلفت حولها كلمة المفسرين، قال أبو السعود:"(أم) متصلة،

---

[1] مفاتيح الغيب، ج١٧، ص ٢٧١.

والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الأخير قطعا، كأنه قيل: أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه، فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم، وتأكيدا للتبكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفواصل، ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار، و(أم) منقطعة، ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره"[٢]

ولا نجد أحسن من كلام الرازي الذي أوردناه سابقاً في توظيف السياق للإفادة من معاني الاستفهام ودلالته وسيرها في تحقيق مقاصد سورة يونس، ومنها مقصد إثبات نبوة رسول الله ﷺ، الذي هو مقصد أصيل من مقاصدها، ويجدر التنبيه على أهمية المقاصد في التدبر والفهم الذي منه علم المناسبات، قال الشاطبي رحمه الله: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر"[١]

الموضع الثامن عشر: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يونس: ٦٨.

المتدبر في سورة يونس يلاحظ أنها تتناول أحوال مشركي العرب؛ لأن السورة مكية، وقد عرضت السورة كثيرا من معتقداتهم الباطلة بأسلوب الاستفهام وغيره، وردت عليهم وأبطلت دعاويهم، وعلى ذلك فالضمير في (قالوا) ليس المراد منه "غيرهم من النصارى؛ لأن السورة مكية، والقرآن المكي لم يتصد لإبطال زيغ عقائد أهل الكتاب، ذلك أن كثيرا منهم كانوا يزعمون أن لله بنات هم الملائكة".[١]، وعلى هذا فإن الكلام يأتي في سياق

---

[٢] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ١٥٦.

[٣] الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٠٩.

[١] التحرير والتنوير، ج١١، ص ٢٢٩

بيان جهل المشركين ونسبتهم الولد لله تعالى، فرد الله عليهم بأن هو الغني الغنى المطلق، وله ملك السماوات والأرض، ونفى أن يكون هذا الكلام صادر منهم عن علم، ثم ختمت الآية بالاستفهام الذي يدل على الإنكار والتوبيخ والتقريع[٢]، وفيه تثبيت لتوحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق به سبحانه.

الموضع التاسع عشر: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، يونس: ٧٧.

انتقلت السورة للحديث عن قصص الأنبياء السابقين، وابتدأت بقصة نوح عليه السلام، "وفيها وجهان من الفائدة: الأول أن قوم نوح عليه السلام لما أصروا على الكفر والجحد عجل الله هلاكهم بالغرق، فذكر الله تعالى قصتهم لتصير تلك القصة عبرة لهؤلاء الكفار، وداعية إلى مفارقة الجحد بالتوحيد والنبوة"[٣]، ولا شك أن التوحيد والنبوة من مقاصد سورة يونس، ثم انتقلت السورة للحديث عن قصة موسى عليه السلام وفيها يتبين أن الآية دالة على أن "آيات الصدق ظهرت وأن المحجوجين أيقنوا بصدق موسى وأنه جاء بالحق، واعتذارهم عن ظهور الآيات بأنها سحر هو اعتذار المغلوب العديم الحجة الذي قهرته الحجة وبهره سلطان الحق، فلم يبق له منتشب من المعارضة المقبولة؛ فهو يهرع إلى انتحال معارضات بمعاذير لا تدخل تحت التمحيص ولا تثبت في محك النقد"[١]، وفيه من مقصد إثبات النبوة ما فيه، وهذا الاستفهام الذي صدر من موسى عليه السلام إنكاري يبين غلطهم ويكشف سفههم، وبه يتحقق مقصد تثبيت التوحيد والنبوة.

---

[٢] روح المعاني، ج٦، ص ١٤٧

[٣] مفاتيح الغيب، ج١٧، ص ٢٨٣

[١] التحرير والتنوير، ج١١، ص ٢٤٩

الموضع العشرون: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾، يونس: ٧٨

قال أبو السعود عن هذا القول الذي حكاه الله تعالى عنهم أنه "مسوق لبيان أنه ﷺألقمهم الحجر، فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلق بكلامه ﷺ فضلا عن الجواب الصحيح، واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج، وديدن كل معاند لجوج"[٢]، والاستفهام إنكاري؛ أي ينكرون على موسى إتيانه بالوحي الذي يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به، وفي ذلك تثبيت لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، هود: ١٢٠

الموضع الحادي والعشرون: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، يونس: ٩١.

في الآية استفهام يأتي في سياق قصة فرعون وإيمانه حين حل به الغرق، قال ابن عاشور: "والاستفهام في (آلآن) إنكاري ... والإنكار مؤذن بأن الوقت الذي علق به الإنكار ليس وقتا ينفع فيه الإيمان؛ لأن الاستفهام الإنكاري في قوة النفي، فيكون المعنى: لا إيمان الآن"[١]، ويستفاد من القصة أن محمدا ﷺ رسول من عند الله، جاء بالدعوة إلى الإيمان بالله، فالإيمان به واجب على الفور، والتأخير والتسويف قد يوقع فيما وقع فيه فرعون، فأسهم الاستفهام في إثبات نبوة رسول الله ﷺ.

الموضع الثاني والعشرون: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، يونس: ٩٩

---

[٢] إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ١٦٩

[١] التحرير والتنوير، ج١١، ص ٢٧٧

بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم جهده في الدعوة إلى دين الله، وكان رحيما بالناس طامعا في هدايتهم، وفي هذه الآية يخفف الله عن رسوله ﷺ ، ويبين له أن أمر الهداية بيده وحده ولو شاء لكان؛ ولكن إرادة الله تعلقت بأن يكون الإنسان مختارا مسؤولا عن أفعاله، ولذلك ذهب كثير من المفسرين إلى أن في الآية تسلية وتخفيف على رسول الله ﷺ، وقد اختلفت عباراتهم في ذلك، قال البقاعي: "والمراد بالآية تخفيف ما يلحق النبي ﷺ من التحسر للحرص على إيمانهم"[٢]، وقال البغوي: "هذه تسلية للنبي ﷺ، وذلك أنه كان حريصا على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله حل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة[٣]، وقال الخازن: "وفي هذا تسلية للنبي ﷺ، لأنه كان حريصا على إيمانهم كلهم؛ فأخبره الله أنه لا يؤمن به إلا من سبقت له العناية الأزلية فلا تتعب نفسك على إيمانهم"[٤]

أما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، يونس: ٩٩، فقد ذهب أغلب المفسرين إلى أنها للإنكار، ومنهم من ذهب إلى أنه للإنكار بمعنى النفي، أي ليس لك أن تكره الناس على أن يكونوا مؤمنين[٥]، ولأن الأمر متعلق برسول الله ﷺ وقد يصعب القول فيه بالإنكار،

---

[٢] نظم الدرر، ج٩، ص ٢١٠

[٣] معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص ٤٣٦

[٤] لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٤٦٦

[٥] زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ج٧، ص٥٣٨

لأنه ﷺ لم يكره أحدا حقيقة، ولذلك ذهب ابن عاشور إلى أن رسول الله ﷺ نُزِّل منزلة من يكره من شدة حرصه على إيمانهم[٦]

الموضع الثالث والعشرون: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يونس: ١٠١.

وجّه الله الناس للنظر في مخلوقاته الدالة عليه؛ ليبين لهم أن الإنسان مختار مسؤول عن أفعاله، فمن اختار التصديق والإيمان يوفقه الله، ومن يختار غير ذلك فلا إكراه، والاستفهام في الآية ب (ماذا)، "والمقصود: انظروا ما يدلكم على جواب هذا الاستفهام، فكل شيء له حالة فهو مراد بالنظر العقلي بتركيبه في صورة مفعولين، نحو: انظروا الشمس طالعة، وانظروا السحاب ممطرا، وهكذا، وكل شيء هو في ذاته آية فهو مراد بالنظر البصري"[٧].

الموضع الرابع والعشرون: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، يونس: ١٠٢.

مر معنا أن موضوع النجاة طرق كثيرا في هذه السورة، وفي هذه الآية تهديد شديد لكفار مكة جاء بأسلوب الاستفهام الدال على التهكم، قال ابن عاشور: "والاستفهام مجاز تهكمي إنكاري، نزلوا منزلة من ينتظرون شيئا يأتيهم ليؤمنوا، وليس ثمة شيء يصلح لأن ينتظروه؛ إلا أن ينتظروا حلول مثل أيام الذين خلوا من قبلهم التي هلكوا فيها"، و(هل) هنا فيها معنى النفي، لأن الأسلوب أسلوب قصر بالنفي والاستثناء، ويفيد أنهم ما يتنظرون إلا مثل الذي حل بالسابقين، ويأتي هذا الاستفهام في ختام الاستفهامات التي وردت في السورة محملا بالتهديد الشديد والتخويف من مصير السابقين وهو الهلاك والبوار.

---

[٦] التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٩٣.

[٧] التحرير والتنوير، ج١١، ص ٢٩٦

الخاتمة:

تناول هذا البحث موضوع أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة يونس، وعُرض ذلك في مقدمة ومبحثين وخاتمة، تضمنت المقدمة أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وهيكله، وجاء المبحث الأول متناولاً التعريف بسورة يونس ومقاصدها، وقد اتضح بعد الدرس والتحليل أن سورة يونس مكية تحمل سمات القرآن المكي بقوة ووضوح، حيث ظهرت محاجة المشركين في قضايا العقيدة الأساسية، وأظهر البحث مقاصد السورة من خلال اسمها وموضوعاتها ومناسباتها وبعض الألفاظ التي تكررت فيها، وتركزت مقاصد السورة في إثبات التوحيد ونبوة رسول الله ﷺ، وحقية القرآن الكريم وإثبات اليوم الآخر.

وفي المبحث الثاني تناول البحث قضية الاستفهام وبيان معناها لغة واصطلاحاً، وبيان أهميتها في الكلام، وتبين أن أسلوب الاستفهام أسلوب إنشائي استعمل في الغالب في القرآن الكريم بمعناه المجازي، وورد هذا الأسلوب في السورة في خمس وعشرين آية، بأدوات استفهام مختلفة، وقد ثبت جلياً أن الاستفهام في سورة يونس يسهم في تجلية وتثبيت مقاصدها، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

١- سورة يونس مكية ومحملة بسمات القرآن المكي في أسلوبها وموضوعاتها.
٢- تتمثل مقاصد سورة يونس في قضايا الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن الكريم واليوم الآخر.
٣- لأسلوب الاستفهام أهميته كبيرة في التعبير، وقد يرد للحقيقة أو للمجاز، ولكنه في القرآن الكريم غالبا يكون للمجاز.
٤- ورد الاستفهام في خمس وعشرين آية من آيات سورة يونس بأدوات مختلفة وبدلالات عديدة.
٥- أسهم أسلوب الاستفهام في كشف الحالة النفسية للمشركين الذين أنكروا قضايا الإيمان بتغييب عقولهم وتجميد أفكارهم.
٦- كشف أسلوب الاستفهام عن المقام الرفيع والرتبة العالية والأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ.
٧- اتضح من خلال أسلوب الاستفهام في السورة أن المشركين كانوا يتعاملون مع رسول الله ﷺ بالحسد والكراهية، واتباع الهوى.

٨- أسهم أسلوب الاستفهام في إبراز وتجلية مقاصد سورة يونس بصورة واضحة وقوية.

التوصيات:

١- الاهتمام بالتفسير البلاغي للقرآن الكريم في الجامعات والكليات المتخصصة.

٢- طرح مشاريع بحثية تتناول موضوعات علم المعاني والبيان في القرآن الكريم.

٣- التوسع في دراسة مقاصد السور القرآنية مع ربطها بالأساليب البلاغية.

٤- دراسة أثر الأساليب البلاغية في بيان الشمائل النبوية.

المراجع والمصادر:

١. الأغراض البلاغيّة للاستفهام في سورة آل عمران: مقاربة أسلوبيّة، هلا مارتيني، وبن عيسى باطاهر، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، يونيو ٢٠٢١ م، المجلد ١٨ العدد ١.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت

٣. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م

٤. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحمي، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، ط٢، ١٩٩٢م

٥. أسلوب الاستفهام في القرآن غرضه وإعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام، ط ١، ٢٠٠٠م

٦. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت

٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ

٨. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٠م

٩. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٢٦.

١٠. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت: ١٩٧١م

١٢.التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م
١٣.التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ
١٤.التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، ط ٣، ٢٠٢٢م
١٥.التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م
١٦.التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧-١٩٩٨م
١٧.جمالية الخبر والإنشاء، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٢٠
١٨.حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م
١٩.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ
٢٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ
٢١.زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي
٢٢.الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بعقيلة المكي (ت ١١٥٠ هـ)، مجموعة رسائل جامعية ماجستير، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٧هـ
٢٣.شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار

التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط ٢٠، ١٩٨٠
٢٤.علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، د. عبد المحسن بن زبن المطيري، جامعة الكويت، د ت، د. ط
٢٥.غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق: د. سمران سركال العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت
٢٦.فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ
٢٧.فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م
٢٨.كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٣م
٢٩.الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م
٣٠.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م
٣١.لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ
٣٢.مجلة المجلة: العدد ٧: ذوالحجة ١٣٧٦هـ: يوليو ١٩٥٨م ص٩٧
٣٣.محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ
٣٤.معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ
٣٥.معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م
٣٦.معجم مصطلح أصول الفقه، هيثم هلال، دار الجيل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م

٣٧.مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ
٣٨.مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م
٣٩.المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور: علي بو ملحم، مكتبة
٤٠.مقاصد الشريعة ومكارمها، عال الفاسي، دار الغرب الإسلامي: ط٥: ١٩٩١م
٤١.الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٩٩٧م
٤٢.موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٨
٤٣.نحو اللغة العربية، د. محمد النادري، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م
٤٤.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت
٤٥.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٨م

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

1. balagh albalaghat lilaistifham fi surat al eimran: qaribat alaslwbyt, hala martini, waibn eisaa batahir, majalat jamieat alshaariqat lileulum al'iinsaniat alaijtimaeiati, yuniu 2021 ma, almujalad 18 aleadad 1.
2. 'iirshad 'aeda' salim 'iilaa mazaya alkutaab alkirim, 'abu alsueud aleimadi muhamad bin muhamad bin mustafaa (t 982hi), dar alturath alearabi, bayrut, da. T
3. aistinad albalaghati, 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah (t538ha), tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1998m
4. lisabab nuzul alqurani, 'abu alhasan eali bin 'ahmad bin muhamad bin eali alwahidi, alnaysaburi, alshaafieii (t 468h), tahqiqu: eisam bin eabd almuhsin alhami, dar al'iislahi, aldamami, alsaeudiati, ta2, 1992m
5. 'uslub aliaistifham fi alquran wa'iierabihi, eabd alkarim mahmud yusif, matbaeat alshaami, t 1, 2000m
6. al'atwal sharh talkhis mafatih aleulumi, 'iibrahim bin muhamad bin earabishah eisam aldiyn alhanafii (t: 943 hu), tahqiqu: eabd alhamid hindawi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, da. T
7. albahr almuhit fi altafsiri, 'abu hayaan muhamad bin yusif bin ealii bin yusif bin hayaan 'uthir aldiyn al'andalusii (t 745hi), tahqiqu: sidqi muhamad jamil, dar alfikri, bayrut, 1420h
8. alburhan fi tanasub suar alqurani, 'ahmad bin 'iibrahim bin alzubayr algharnatii (t 708hi), tahqiqu: muhamad shaebani, wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiati, almaghrbi, 1990m
9. alburhan fi eulum alqurani, 'abu eabd allah badr aldiyn muhamad bin eabd allah bin bihadir alzarkashii (t 794hi), tahqiqu: muhamad 'abu alfadla, t 1, 1957m, ja2, sa326.
10. albalaghat alearabiatu, eabd alrahman bin hasan habanakat almustashfaay (t 1425ha), dar alqalami, dimashqa, aldaar alshaamiatu, bayrut, ta1, 1996m
11. taj alearus min jawahir alqamusa, muhamad murtadi alzubaydi, tabeat hukumat alkuayti: 1971m
12. altahrir waltanwira, muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur (ti: 1393ha), aldaar altuwnusiat lilnashr - tunis, 1984m
13. altashil lieulum altanzili, 'abu alqasima, muhamad bin 'ahmad aibn jizi dawiu algharnati (t 741hi), tahqiqu: alduktur eabd allah alkhalidi, dar al'arqam bin 'abi al'arqama, sharikat bayrut, ta1, 1416h

14. altafsir albalaghiu liliastifham fi alquran alkarimi, da. eabd aleazim almateani, maktabat wahbat alqahirati, t 3, 2022m
15. altafsir lilquraan alkarimi, muhamad sayid tantawi, dar alnahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie, alqahirati, ta1, 1998m
16. altafsir lilquraan alkarimi, muhamad sayid tantawi, dar alnahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie, alqahirati, ta1, 1997-1998m
17. jamaliat alkhabar wal'iinsha'i, da. husayn jumeat, manshurat atihad alkitaab alearabii, dimashqa, 2005ma, si20
18. huruf almaeani walsafati, eabd alrahman bin 'iishaq albaghdadi alnahawandiu alzujajiu (t 337ha), tahqiqu: eali twfiq alhamdu, muasasat alrisalati, bayrut, ta1, 1984m
19. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, shihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusayni al'alusi (t 1270h), eali eabd albari eatiat, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1415h
20. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, shihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusayni al'alusi (t 1270hi), tahqiqu: eali eabd albari eatiat, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1415h
21. zahrat altafasir, muhamad bin 'ahmad bin mustafaa bin almaeruf bi'abi zahra (t 1394hi), dar alfikr alearabii
22. ziadat wal'iihsan fi eulum alqurani, muhamad bin 'ahmad bin saeid almaeruf bieaqilat almakiyi (t 1150 hu), majmueat rasayil jamieiat majistir, markaz altahrir waldirasat almutahidat jamieat alshaariqat, al'iimarat alearabiat almutahidatu, t 1, 1427h
23. sharh abn eaqil ealaa 'alfiat abn malka, eabd allh bin eabd alrahman aleaqilii alhamdanii almisrii (almutawafaa: 769hi), tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamidi, dar altarathi, alqahirata, dar misr liltibaeati, saeid judat alsahar washarkah, t 20, 1980.
24. ealam maqasid alsuwr wa'atharuh fi tadabur alquran alkarim, di. eabd almuhsin bin zibn almutayri, jamieat alkuayti, d ti, da. t
25. gharayib altafsir waeajayib altaawila, mahmud bin hamzat alkarmani (t 505 hu), tahqiqu: du. samaran srikal aleajli, dar alqiblat lilthaqafat al'iislamiati, jidat, muasasat eulum alquran, bayrut
26. fath alqidir, muhamad bin ealii bin muhamad bin eabd allah alshuwkanii alyamanii (t 1250ha), dar abn kathir, dar klm altayib, dimashqa, bayrut, ta1, 1414h.
27. funun al'afnan fi euyun eulum alqurani, jamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin eali bin muhamad aljawzii (t 597hi), dar albashayir, bayrut, t 1, 1987m
28. kitab altaerifati, ealiu bin muhamad aljirjanii (t 816ha), dar alkutub aleilmiat bayrut, ta1, 1983m

29. alkitabi, eamru bin euthman almulaqib sibwih (t 180hi), tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, maktabat alkhanji, alqahirati, t 3, 1988m.
30. alkashaaf haqayiq ean ghawamid altahmil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, jar allah mahmud bin eumar bin 'ahmad alzumakhshari (t 538 ha), tahqiqu: eadil 'ahmad eabd almawjud waealaa muhamad mueawada, maktabat aleibikan, alriyad, ta1, 1998m
31. libab altaawil fi maeani altanzili, eala' aldiyn eali bin muhamad almaeruf bialkhazin (t 741ha), dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1415h
32. majalat almijalati: aleadad 7: dhawalhijat 1376h: yuliu 1958m si97
33. mahasin altaawila, muhamad jamal aldiyn bin muhamad saeid bin qasim alhalaaq alqasimii (t 1332 hu), tahqiqu, muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1418h
34. maealim almaealim fi tafsir alqurani, 'abu muhamad alhusayn bin maseud albaghawi alshaafieii (t 510h), tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi, dar alturath alearabi, bayrut, ta1, 1420h
35. maeani alquran wa'iierabihu, 'iibrahim bin alsari, 'abu 'iishaq alzujaj (t 311ha), tahqiqu: eabd aljalil eabduh shalabi, ealim alkutab, bayrut, ta1, 1988m
36. muejam mustalah 'usul alfiqah, haytham hilal, dar aljili, birut, t 1, 2003m
37. mafatih alghib, 'abu eabd allah muhamad bin eumar bin alhasan almulaqab bifakhr aldiyn alraazii (t 606hi), dar alturath alearabi, bayrut, ta3, 1420h
38. miftah aleulumi, yusif bin 'abi bakr bin muhamad bin ealiin alsakakii alkhawarizmii alhanafiu 'abu yaequb (t 626), dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta2, 1987m
39. alhadith fi sinaeat al'iierabi, 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmad, alzumakhashari jar allah (t 538hi), tahqiqu: aldukturu: eali bu malham, maktaba
40. maqasid alsharieat wamakarimaha, eal alfasi, dar algharb al'iislami: ta5: 1991m
41.almuafaqati, 'abu 'iishaq 'iibrahim bin musaa bin muhamad allakhmi alshatbii (t 790 hu), tahqiqu: 'abu eubaydat almashhur bin hasan al silman, dar abn eafan, t 1, 1997m
42.musueat alnahw walsarf wal'iierabi, du. 'iimil yaequba, dar aleilm lilmalayini, bayrut, ta1, 1988 43. nahw allughat alearabiati, du. muhamad alnaadri, almaktabat aleasriati, bayrut, ta2, 1997m
44. nazam aldarar fi tanasub alayat walsuwr, 'iibrahim bin eumar albiqaeii (t 885ha), dar alkitaab al'iislami, alqahirati, da.t

45. alhidayat 'iilaa almuqadimat alnihayiyat fi eilm maeani alquran watafsirihi, wa'ahkamih wajumal min eulum eulumihi, makiy bin 'abi talib alqaysi (ta437h), majmueat rasayil jamieiat bikuliyat aldirasat aleulya aleilmiat -jamieat alshaariqat, bi'iishraf 'a. da: shahad albushikhi, majmueat 'abhath alkitaab walsunat -kuliyat alsharieat waldirasat al'iislamiati, jamieat alshaariqat, al'iimarat alearabiat almutahidata, ta1, 2008m